

## لبنان و«قانون قيصر»



للحزب ذلك عندما يقول إنه جندي في جيش "الولي الفقيه". لكن المستغرب غياب أي قدرة لدى "التيار الوطني الحر" على استيعاب البديهييات، بما في ذلك انعدام "قانون قيصر". لماذا لا يتذكر لبنان مرحلة مشرقة من تاريخه، أي مرحلة ما قبل اتفاق القاهرة الذي ورطه في حروب كان في غنى عنها، بما في ذلك حرب العام 1967؟

الاكيد أن الطاقم الحاكم حالياً، على رأسه "حزب الله"، لا يستطيع أخذ لبنان سوى في اتجاه كارثة أخرى كارثة "قانون قيصر". لا بد من معجزة تؤدي إلى تفادي الكارثة. لكن هذا الزمن ليس زمن المعجزات. إنه زمن "حكومة حزب الله" في "عهد حزب الله"، زمن يجعل من الترحح على اتفاق القاهرة احتمالاً وارداً.

ما فات نصرالله أن أهم ما في «قانون قيصر» أن لا إعمار لسوريا ما دام بشار الأسد في السلطة، هذا يؤكد بكل بساطة أن على بشار الأسد الرحيل عاجلاً أم آجلاً

على إقحام نفسها في معركة خاسرة سلفاً. يمكن في طبيعة الحال فهم موقف "حزب الله". هذا الحزب ليس سوى ميليشيا مذهبية تشكل لواء في "الحرس الثوري الإيراني". لا يخفي الأمين العام

ذلك. على رأس هؤلاء رامي مخلوف ابن خال رئيس النظام السوري وشريكه في الثروة منذ فترة طويلة. غريب العجز اللبناني عن استيعاب هذه المعادلة وعن فهم أبعاد الخلاف داخل العائلة الواحدة التي تحكم سوريا منذ 1970. في أساس النظام الذي أسسه حافظ الأسد، قبل أقل بقليل من نصف قرن، امتلاك تلك القدرة على الابتزاز. ابتزاز العرب وابتزاز الإيرانيين، قبل أن يبتزوه، وابتزاز الأميركيين وابتزاز الأوروبيين. هناك مرحلة انتهت في المنطقة والعالم. جاء "قانون قيصر" ليؤكد نهاية هذه المرحلة وليؤكد أن بشار الأسد شخص انتهى تماماً مثلما انتهى صدام حسين يوم دخل الكويت في الثاني من آب - أغسطس 1990. لا ليس مفهوماً لماذا إصرار المجموعة التي تتحكم بلبنان

من الصعب على بشار الأسد الاقتناع بأن عليه الرحيل. لا يمتلك الرجل القدرة على القيام بعملية نقد الذات. ودهم الأتكياء يمتلكون مثل هذه القدرة التي تكشف أن لديهم مستوى معيناً من الذكاء. هل ما ينطق على بشار ينطبق أيضاً على المجموعة السياسية التي تتحكم بالمصير اللبناني هذا الأيام؟ أن تعرف كيف تخسر في السياسة أهم بكثير من أن تعرف كيف تربح. من يعرف كيف يخسر يمكن أن يربح يوماً وأن يستفيد من أخطاء ارتكبتها. لكن مشكلة بشار الأسد ذات جوانب متعددة، بما في ذلك أنه لا يعرف كيف يخسر. في مقدم هذه الجوانب عجزه عن استيعاب أن النظام الذي ورثه عن والده لم يعد صالحاً. هناك سوريون فهموا

في استطاعته تعميم مأساة مجزرة حماة في العام 1982، أيام والده وعمه رفعت، لتشمل كل الأراضي السورية؟ من الواضح أن حماة تظل المثل الأعلى لرئيس النظام السوري. فمن مجزرة حماة، بدأ والده حافظ الأسد عهداً جديداً وحصل على تجديد للبيعة امنته الدماء البريئة وغير البريئة التي سالت في المدينة المستباحة التي هجر قسم كبير من أهلها وشردوا بوحشية وحقد.

في عهد بشار الأسد، صارت كل المدن السورية حماة. صارت كل مدينة مستباحة تحت شعار "الأسد أو حرق البلد"، الذي تحول إلى عنوان لكتاب معروف يعتبر من أفضل ما وضع عن مرحلة الثورة. هذا الكتاب لصحافي أميركي من أصل لبناني هو سام دغر، عرف كيف يشرح النظام السوري بدقة ليس بعدها دقة.

لا تستطيع أي دولة في العالم، بما في ذلك الصين وروسيا، تحمّل عقوبات أميركية على شركاتها في حال دخلت في أي تعاملات من أي نوع مع النظام السوري. إذا كان من درس لبناني يمكن استخلاصه من "قانون قيصر"، فهذا الدرس يتمثل في كيفية الابتعاد عن النظام السوري بدل إقحام لبنان في حرب ليست حربه وتعرضه لنار لا مصلحة له في الاقتراب منها.

إذا كانت الصين بشركاتها العملاقة لا تتحمل تبعات "قانون قيصر" وترى نفسها مجبرة على التقيد به، فكيف الأمر بلبنان؟ سيقول كثيرون إن سوريا رثة لبنان وإن لا خيارات أخرى أمامه. هذا تهرب من تحمّل المسؤولية من جهة ودليل عجز عن استيعاب ما يدور في المنطقة والعالم من جهة أخرى.

خير الله خير الله  
إعلامي لبناني

ب"قانون قيصر" أو من دونه، لا مستقبل للنظام السوري الذي على رأسه بشار الأسد. هذا عائد بكل بساطة إلى لا مهمة لبشار الأسد سوى استكمال تفتيت سوريا. هل في لبنان من يعي ذلك ويعي في الوقت ذاته كيفية حماية البلد... أم أن هناك سباقاً بين مكونات السلطة التي قامت قبل ثلاث سنوات ونصف سنة، أي منذ انتخاب ميشال عون رئيساً للجمهورية، على كيفية تحويل لبنان إلى جزء لا يتجزأ من الكارثة السورية؟ من الواضح، أن لبنان مصر على ربط نفسه ب"قانون قيصر". هذا ما يمكن فهمه من الخطاب الأخير لحسن نصرالله الأمين العام لـ "حزب الله" الذي شدّد فيه على رفض نزع سلاح الحزب من جهة والتأكيد أن ما يسمى "حلف الممانعة" لن يسمح بسقوط النظام السوري.

ما فات نصرالله أن أهم ما في "قانون قيصر" الذي دخل حيز التنفيذ الأربعة عشر (17-06-2020)، أن لا إعمار لسوريا ما دام بشار الأسد في السلطة. هذا يؤكد، بكل بساطة، أن على بشار الأسد الرحيل عاجلاً أم آجلاً. مطلوب أميركا رحيل الأسد. لذلك ترافق دخول "قانون قيصر" حيز التنفيذ عقوبات جديدة على بشار الأسد وعلى زوجته أسماء وعلى أقربائه وعلى شخصيات سورية أخرى. ذهب الأميركيون إلى أبعد حدود في البحث عن الشخصيات السورية التي لديها ارتباطات مباشرة بالنظام.

لكن السؤال الذي سيظل يطرح نفسه هل تهتم سوريا ببشار الأسد، أم أن همّه محصور بالبقاء في السلطة وإظهار أن



## القول والشاهد في نهاية نفق مظلم

سأقت ملايين البشر إلى الحرمان والقهر والتشرد. حتى انخسفت الأرض بالقول وقائله، خسفة أولى بمن هو مثلهم؛ داعش، أو ربما أرحم. ذلك قول. والإمبريالية قول. و"قيصر" قول وشاهد. ولقد جمعوا من الفساد والمظالم ما يكفي لكي يعرف كل الناس، أنهم ليسوا بشراً، بل كائنات تتلبس ثياب البشر لتخطف بقول وتفعل ما يبرهن عليه.

مع ذلك، فقد بلغ نفق الظلم نهايته في سوريا. وسوف يتعين على أهل النظام أن يلتمسوا أغراضهم ومضوا إلى ماوى قد لا يجيهم من عذاب سيأتي، ولا من ملاحظات لن تتوقف. مثلهم، يحسن بالآخرين أن يفعلوا. قاندهم يجمع المال من ابن خالته، ليحشو به الحقيقة. لا هو قادر على قتله، لأن الكثير من الحسابات ما تزال سرية في خزائن النهب، ولا هو قادر على أن يأخذ ما يعتقد أنها "حصته" من النضال ضد "الإمبريالية".

ألك هي المخازن؟ لا. تلك هي الحقيقة البسيطة التي ما كان للقول أن يفضي إلا بها، وما كان له أن ينتهي إلا إليها.

الإمبريالية الآن هي التي تقف في آخر ذلك النفق. لكي تجمل نفسها ربما، ولكن لكي تعلم الظالمين درساً قد يُضمر قولاً آخر: إذا كنت تتجرأ على الظالم، فلا تفعل ما يفعله.

يحسن بالذين يريدون أن يكسبوا المعركة ضد الظلم، أن يتطهروا من كل أشكاله، لا أن يتحولوا وحوشاً كاسرة ضد شعوبهم بالذات.

المواجهة مع "الإمبريالية" لا تكون ظلماً إضافياً، إلا وتنخسف الأرض بالقائلين ويقولهم، وكل ما يزعمون. لقد أقاموا نفقاً مظلماً، وبلغوا نهايته، بما لم يفعله أحد سواهم. "قيصر" هو القول والشاهد.

يغطيها بـ"المقاومة"؛ وكم من جوع وقهر يمكن للخطاب أن يضمض ضد هذا الشعب أو ذلك؟

وحالهم اليوم أشبه بمتعوس يساند متعوساً مثله. فالفقر والحرمان والفشل هو نفسه في إيران، وهو نفسه في نظام حزب الله في لبنان. ومع كثرة "القول"، يكثر الضحايا، وتكثر الجريمة ويكثر الزيف.

لا تنس، أن إيران التي بدأت بمواجهة "الاستكبار"، استكبر نظامها على شعبه، ليكشف عن طبيعة ذلك "القول" وعن مرض في النفس لا يشفى من الإيمان المطلق بالزيف. ولا تنس "المظلومات"، القول الآخر الذي ساد في عراق الميليشيات الطائفية، لتكشف عن طبيعة إجرامية

أثرت كل الخراب الراهن، وكل الماسي التي انتهت إلى 12 مليون مشرد، وبلاد محطمة، و25 مليون جائع.

كل ذلك، ليكشف القولون إنهما ليسا من الزيف في شيء. بل إنهما من الطبيعة نفسها، التي لا تملك في مواجهة الظلم إلا ظلماً أشد منه، وأكثر وحشية. ولكن ليس ضد "الإمبريالية" أو ما حولها، إنما ضد الذين اتخذوا منهم شعباً، وأرادوا تحويله إلى مطايا.

الآن، ماذا يمكن لهذا النظام أن يفعل، في مواجهة حصار أشد، وفشل أوسع، وانهايارات لن تتوقف؛ بل ماذا يمكن لنظير القول المماثل أن يفعلوا سوى أن يروا فيه نهايتهم نفسها؟ كم "قيصر" سيظهر في إيران الولي الفقيه؛ كم جريمة يمكن لحزب الله أن

ولأنها من صنع مواليتهم واتباعهم، ومن صنع ثقافة "القول" الذي ما كان يوسعه أن يقدم نفسه إلا على ذلك النحو.

ضع كل التفسيرات جانباً، وسترى أنها جزء من "طبيعة" لا علاقة لها بأي طبيعة إنسانية. ليس في هذا العصر على أي حال. وليس بهذا الحجم، ولا بهذه الكثرة، ولا بهذا المدى الطويل من الوقت.

لقد أراد القول أن يواجه ظلماً، فظل. حتى انخسفت الأرض من تحته إلى درك من أسفل السافلين، فعاد إليه الظالم ليهزأ به وليستكر القول وما فعل. وما ذلك إلا درك أدنى.

ولكن استعان القول بقول مماثل قادم من إيران ومن فرعها في لبنان، فقد اجتمع القولون على أخوية في الوحشية

شيء من المرض النفسي، هو ما ظل يمنح تلك السلطة القدرة على أن تعيش أيامها وكانها "نظام" و"دولة" و"مؤسسات"، بينما هي غير ذلك تماماً.

الخطاب لم يكن مزوراً فقط. ولكنه خطاب إيماني أيضاً. بمعنى أن الذين يمارسونه ويدلون بقوله، يفعلون وهم مؤمنون تماماً بكل ما يعنى، من قبل أن يمتد الإيمان ليقدّم "راحة" ضمير

حيال كل الأعمال الوحشية والجرائم التي ظلت ترتكب ضد كل من يجرد على أن يصدر عن قول آخر، أو تفسير آخر، أو حتى مجرد الرغبة في التعبير عن تصور آخر للحياة.

فكل ذلك كان يندرج في خانة الوصف التقليدي للمؤامرة "الإمبريالية".

هل كان يمكن للخطاب "العصبي" أن يفعل شيئاً آخر؟ هل كان يوسع القائلين عليه أن يقدموا برهاناً غير البرهان الذي تدلي به المعتقلات والسجون بكل ما ظلت تنطوي عليه من أعمال تعذيب وجرائم؟ وهل كان يمكن للإيمان أن تمضي، في المواجهة مع "الإمبريالية"، من دون أن تستجمع الوحشية نفسها في صور "قيصر"؟

الآن جاءت الإمبريالية، ربما لكي تجمل نفسها، ولكنها بكل تأكيد من ظلم الظالم على الظالم. يُسلط الواحد على الآخر، حتى لتخسف الأرض بما قال وما فعل.

لا تقل شيئاً. فقط ضع الصور أمام أركان هذا النظام لكي يقولوا فيها ما يشاؤون. دعهم يقدموا تفسيراً لكل ذلك الجمع الهائل، المنهجي، والعميق للطبيعة الوحشية التي انطوت عليها أعمالهم. دعهم يعترفوا أنها "أخطاء"،

وأنها من أعمال "فردية"، وأنهم ما كانوا ليلتمسوا بها. دعهم يكذبوا حتى صباح اليوم التالي، ولكنهم لن يجروا على القول إنها من أعمال "الإمبريالية". لأنها بالدليل اليومي المشهود من أعمالهم.

علي الصراف  
كاتب عراقي

صور "قيصر" التي حفزت قانون العقوبات الأميركي ضد النظام السوري، لم تكن من صنع "الإمبريالية"، ولكنها من صنع نظام تلك هي حقيقة.

الوحشية ليست جزءاً من طبيعته فحسب، إنها هو، دون زيادة أو نقصان. عصابة تولت السلطة منذ نصف قرن وظلت تمارس من أعمال القتل والتعذيب والمظالم ما هو أكثر بمئات المرات مما جمعه "قيصر".

ولقد قبض لتلك الأعمال، أن تتجسد في مشهد خرافي، غير قابل للتفسير، ولا للتبرير، وتعجز الطبيعة البشرية عن فهمه، إلا أنه قال ما فيه الكفاية عن طبيعة "القول" الآخر وعن وجهته.

ماذا يمكن لهذا النظام أن يفعل في مواجهة حصار أشد وفشل أوسع وانهايارات لن تتوقف؟ بل ماذا يمكن لنظير القول المماثل أن يفعلوا سوى أن يروا فيه نهايتهم نفسها؟

النظام الذي استلمك سوريا ابتداء من العام 1971، قدم خطاباً معروفاً في طبيعته، وفي تفسيراته لمفردات من قبيل "المواجهة" و"الصمود" و"التصدي"، لتجسد سياسات انحصرت في مجملها على توفير مبررات لبقائه في السلطة، ومن خلفها لأعماله "العصبيّة" الأخرى.

